أَوۡ نِسَآئِهِنَّ

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ

سنقف في هذا البحث – إن شاء الله تعالى – عند العبارة القرآنيّة ﴿ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ، والتي ترد في سياقٍ يبيّن لنا الرجال الذين يُسمَح للمرأة بإبداء زينتها أمامهم ، محاولين الوقوف عند دلالات هذه العبارة القرآنيّة ، بمنهجيّة علميّة حاملها الغوص في أعماق نصوص كتاب الله تعالى ، لنرى كيف أنَّ التعمّق في إدراك دلالات هذه النصوص ، يكشف لنا ما كنّا نجهله ، ويوصلنا إلى نتائج سليمة ، لا تختلف فيها الأذهان النقيّة ..

.. هذا البحث ليس مخصَّصاً لتبيان مفهوم الزينة المعنيّة في كتاب الله تعالى .. لكن .. نقول وباختصار شديد : الزينة التي يُباح للمرأة إبداؤها ، والمعنيّة في الآية (٣١) من سورة النور ، ليست تبرّجاً وإظهاراً لمفاتنها وما يثير الشهوة .. أبداً .. ومن جهة أُخرى فإنَّ حضورها الاجتماعي وطمأنينتها وثقتها وارتياحها بالتواصل الإنساني ، ليس بدرجة واحدة مع جميع الرجال المذكورين في هذه الآية الكريمة ..

.. ما يبيّنه لنا كتاب الله تعالى ، أنَّه هناك ثلاث درجات لما تبديه المرأة الملتزمة بمنهج الله تعالى ، من أنوثتها كامرأة ..

١ – التبرّج وإظهار المفاتن ، وهذا لا يكون إلاّ لزوجها ..

٢ – الزينة ، وتبديها للمذكورين في الآية (٣١) من سورة النساء ..

٣ – ما ظهر من الزينة بشكلٍ طبيعي دون تكلّف وتصنّع ، وهذا ما تبديه أمام كلِّ الناس ..

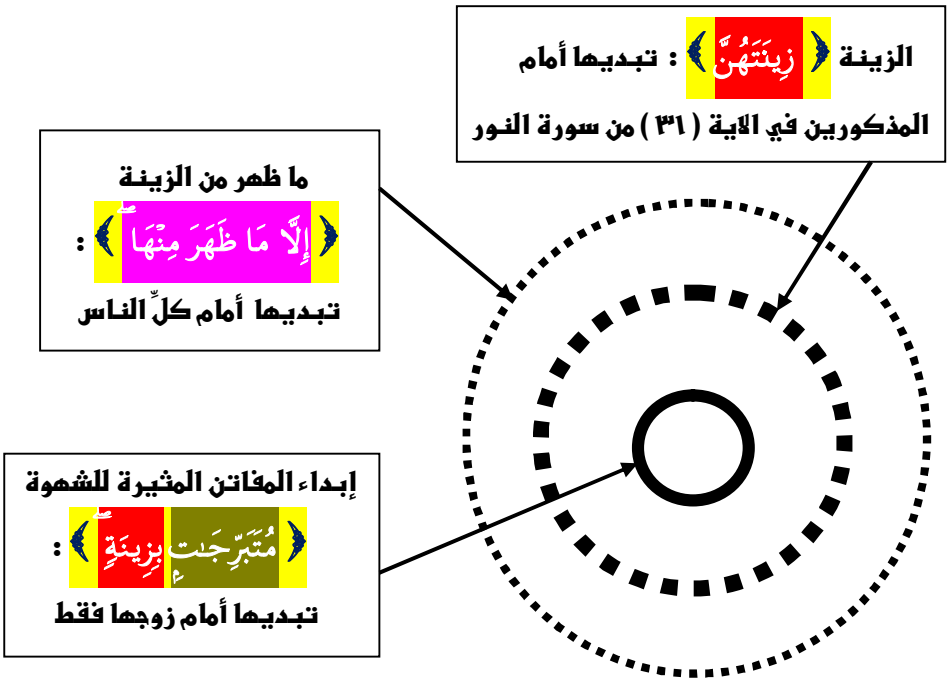

.. ومن نافلة القول ، أنَّ الرجال المحرَّمين على المرأة أقرب إليها – في التفاعل الإنساني الطاهر – من الرجال غير المحرَّمين .. وبالتالي .. فمن نافلة القول أنَّ مجموعة الرجال الذين يُسمح للمرأة بإبداء زينتها أمامهم ، والمذكورين في الآية (٣١) من سورة النور ، تشمل مجموعة الرجال المحرَّمين عليها ..

.. الآية الكريمة الحاملة لمسألة إبداء الزينة ، وتحديد الرجال الذين تُبدي المرأة زينتها أمامهم ، هي قوله تعالى ..

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١]

.. والنصُّ الكريم الحامل للمحرّمات من النساء في كتابه تعالى ، هو قوله تعالى ..

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾

[النساء : ٢٢ - ٢٤]

.. وبناء على دراسة علميّة لدلالات هذين النصَّين ، وصلت إلى الجدول التالي ، كمقارنة ما بين المحرّمات في الآيتين (٢٢ - ٢٣) من سورة النساء ، وما بين مسألة إبداء الزينة في الآية (٣١) من سورة النور ..

المحرّمات في الآيتين (٢٢ – ٢٣) من سورة النساء	الذين يُسمَح للمرأة بإبداء الزينة أمامهم في الآية (٣١) من سورة النور
﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾	﴿أَبْنَآئِهِنَّ﴾
﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾	﴿ءَابَآئِهِنَّ﴾
﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾	﴿إِخْوَٰنِهِنَّ﴾
﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾	﴿بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾
﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾	﴿بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾
﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾	﴿ءَابَآئِهِنَّ﴾
﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾	﴿ءَابَآئِهِنَّ﴾
﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾	﴿أَبْنَآئِهِنَّ﴾
﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾	﴿إِخْوَٰنِهِنَّ﴾
﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾	﴿نِسَآئِهِنَّ﴾
﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾	﴿نِسَآئِهِنَّ﴾
﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾	﴿ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾

﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾
.....	﴿ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	﴿ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾
.....	﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ﴾
.....	﴿ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾
.....	﴿ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾
﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾	.....

.. ما نراه في هذه المقابلة ، أنَّ المحرَّمات : [[﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ ،، ﴿ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ ﴾ ،، ﴿ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾]] ، قابلتها كلمة : ﴿ ءَابَآئِهِنَّ ﴾ .. فالأعمام والأخوال لم يرد ذكرهم في الآية (٣١) من النور ، كونهم تشملهم كلمة : ﴿ ءَابَآئِهِنَّ ﴾ ..

.. وأيضاً : ﴿ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ ، تقابلها في مسألة إبداء الزينة كلمة : ﴿ أَبْنَآئِهِنَّ ﴾ ، كون أمِّ الرجل من الرَّضاعة ، يعدُّ بالنسبة لها ابناً محرّماً عليها ،

والقرآن الكريم يسمِّيها أمَّاً .. وأيضاً : ﴿ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ ، تقابلها في مسألة إبداء الزينة كلمة : ﴿ إِخْوَٰنِهِنَّ ﴾ ، كون أخت الرجل من الرَّضاعة ، يعدُّ بالنسبة لها أخاً ..

.. وهنا سؤالٌ يطرح نفسه .. أمُّ الزوجة : ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ ﴾ ، أين مقابلها في مسألة إبداء الزينة (زوج ابنة المرأة) ؟ .. وأيضاً بنت الزوجة : ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أين مقابلها في مسألة إبداء الزينة (زوج أمِّ المرأة) .. وكذلك العبارة : ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ، أين مقابلها (زوج أُختها) أثناء كونه زوجاً لأختها ..

.. فهل يُعقَل أنَّ المعنيين بقوله تعالى : [[﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ ،، ﴿ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾]] أقرب إلى المرأة من زوج ابنتها ، ومن زوج أمِّها ، ومن زوج أُختها ، سواءٌ كان ذلك في حضورها وتفاعلها الاجتماعي معهم ، أم في إبداء زينتها ؟!!! .. بالتأكيد الإجابة : لا ..

.. هؤلاء الرجال .. أين ذكرهم في هذه الآية الكريمة [النور : ٣١] ؟ .. الإجابة : كلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ تحملهم جميعاً .. فهذه الكلمة مكوَّنة – كما نرى – من مضاف هو كلمة : ﴿ نِسَآءِ ﴾ ومن مضاف إليه هو الضمير المتَّصل ﴿ هِنَّ ﴾ المتعلِّق بالمؤمنات الموجَّه إليهن الأمر الإلهي في بداية الآية الكريمة ...

.. وما نعلمه في كتاب الله تعالى أنَّ كلمة ﴿ نِسَآءِ ﴾ تصف الإناث ، وهنا المخاطبات بالنصِّ ﴿ هِنَّ ﴾ ، هنَّ نساء : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ ..... ﴾ .. فهل من الممكن لمتذوِّق

لغة كتاب الله تعالى أن يتصوَّر بأنَّ دلالات كلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ، في إطار معنى : نساء النساء ؟!!! ..

.. ذهب التفسير الموروث إلى أنَّ كلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ تعني النساء اللاتي على دينهن .. وهذا يتنافى مع صياغة هذه الكلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ، فالانتماء العقدي لنساء من دينهن ، ليس انتماءً لهن كنساء (إناث) ، وإنّما هو اشتراكٌ معهن في الانتماء العقدي .. وعلى الأقل لكانت الإضافة ليست لهنَّ كنساء ، مثلاً : ((نساء ملّتهن)) .. أو لكانت بصيغة أُخرى ، مثلاً : ((النساء المؤمنات)) ..... وهناك من قال المعني جميع النساء .. وهنا نقول : ما الفائدة إذاً من هذه الإضافة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ؟ .. فهذان القولان تستحيل صحَّتهما في معيار صياغة هذه الكلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ..

.. لا شكَّ أنَّ دلالات الكلمة القرآنيّة ثابتة مستمدَّة من جذرها اللغوي ، وأنَّ السياق المحيط بها (أو أيَّ نصٍّ آخر) ، لا يغير من هذه الدلالات .. لكن .. السياق المحيط بالكلمة يحدِّد سمت دلالاتها كلبنة في بناء الدلالات الذي يحمله النصُّ .. فكما أنَّ دلالات الحرف القرآني ثابتة ، ويدخل (بهذه القيمة الدلاليّة الثابتة) في بناء الكلمة القرآنيّة ، مساهماً – مع خصوصية ترتيب الحروف المحيطة به في ذات جسم الكلمة – بحمل دلالات الكلمة .. كذلك .. الكلمة كقيمة دلاليّة ثابتة ، يتحدَّد سمت دلالاتها في بناء الجملة التي تنتمي إليها ، من سياقها المحيط بها ..

.. لنأخذ مثالاً .. هو قوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه : ١٢٩]

.. النصُّ الكريم : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ ، نرى في حرف الامتناع لوجود : ﴿ وَلَوْلَا ﴾ ، أنَّ الواو استئنافيّة .. ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ : مبتدأ محذوف الخبر ،

تقديره موجودة .. وجملة : ﴿ سَبَقَتْ ﴾ صفة لكلمة : ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ .. ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ جار ومجرور متعلّقان بكلمة : ﴿ سَبَقَتْ ﴾ .. ﴿ لَكَانَ ﴾ فعل ماض ناقص ، واللام واقعة في جواب ﴿ وَلَوْلَا ﴾ ، واسمها ضمير مستتر بتقدير (هو) يعود على الإهلاك .. ﴿ لِزَامًا ﴾ خبر كان ..

.. وإلى هنا السياق واضح .. ويأتي حرف العطف في كلمة ﴿ وَأَجَلٌ ﴾ ليعطف الأجل وصفته : ﴿ مُّسَمًّى ﴾ على كلمة : ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ .. بمعنى : ولولا أجلٌ مسمّى لكان الإهلاك لزاماً .. فما بين حرف العطف وكلمة أجل في الكلمة : ﴿ وَأَجَلٌ ﴾ ، ساقنا السياق لإدخال دلالة كلمة (لولا) ، وبعد الجملة ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ساقنا السياق أيضاً إلى إدخال دلالة جملة كاملة هي : (لكان الإهلاك لازماً) ..

.. فالجملة : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ، تحمل بناء من المعنى والدلالات هو : ولولا أجلٌ مسمّى لكان الإهلاك لزاماً ، تمّ استحضاره – إضافة لهذه الجملة – من الجملة السابقة : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. لننظر في قوله تعالى ..

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ [البروج ٤ – ٥ : ١٢٩]

.. ﴿ قُتِلَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول .. ﴿ أَصْحَابُ ﴾ نائب فاعل .. ﴿ الْأُخْدُودِ ﴾ مضاف إليه .. وإلى هنا السياق واضح .. بعد ذلك تأتي كلمة : ﴿ النَّارِ ﴾ ، بدل اشتمال .. ﴿ ذَاتِ ﴾ صفة النار مضافة لكلمة ﴿ الْوَقُودِ ﴾ ..

.. باختصار شديد .. وبتبسيط للأمر .. تمّ تقدير مضاف لكلمة ﴿ النَّارِ ﴾ ، بتقدير : ((أصحابُ النار)) .. وتم تقدير فعل مبني للمجهول (قُتل) لنائب الفاعل والمضاف إليه

((أصحابُ النار)) .. أي تمَّ تقدير : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ﴾ استنباطاً من السياق ، ليكون معنى الآيتين معاً : ((قُتل أصحاب الأخدود ، قُتل أصحاب النار ذات الوقود)) ..

.. وهذا الذي نراه من تشابك دلالات الجمل ، ومن إسقاط لروح سياق النصِّ على الجمل ودلالاتها ، يتجلّى بين أيدينا في دلالات الجملة : ﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ..

.. إضافة كلمة نساء إلى المخاطبين في سياق النصِّ القرآني الحامل لها ، تعني تخصيص جزءٍ من جملة النساء التي تحملها كلمة : ﴿ نِسَآءِ ﴾ ، من خلال تعلّقهن برابطة مع من تمّت إضافة النساء إليهم (المضاف إليه) .. ففي قوله تعالى التالي :

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣]

.. نرى أنَّ المعنيّات بكلمة ﴿ نِسَآؤُكُمْ ﴾ هنَّ النساء ﴿ نِسَآءِ ﴾ اللاتي يتعلَّقن مع المخاطبين ﴿ كُمْ ﴾ بعقد نكاح ، أي أزواج المخاطبين ، أي هنَّ النساء اللاتي يحقُّ للمخاطبين في النصِّ معاشرتهن ، والإنجاب منهنَّ .. فكلمة ﴿ نِسَآءِ ﴾ تشمل جميع النساء ، ويأتي المضاف إليه ﴿ كُمْ ﴾ مخصِّصاً بمعنى : تملكون معاشرتهنَّ ، والإنجاب منهنَّ ، حيث علمنا ذلك من السياق المحيط بهذه الكلمة : ﴿ نِسَآؤُكُمْ ﴾ ، فهو الذي يبيِّن لنا ماهيّة التخصيص المحمول بهذه الإضافة .. فقوله تعالى : ﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ منه نستشفُّ أنَّ المعنيَّ بالتخصيص هو الأزواج حصراً اللاتي يتعلَّقن بعقد نكاح مع المخاطبين بالنصِّ .. فالتخصيص تبيّنا ماهيّته من السياق المحيط بكلمة نساء المضافة ، بأنَّه متعلّق بمن يُسمح (من جملة النساء) للرجل معاشرتها ، والإنجاب منها ..

.. وهذا ما تحمله أيضاً كلمة ﴿ نِّسَآئِهِمْ ﴾ في النصِّ التالي :

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٦]

.. ففي كلمة ﴿ نِسَآئِهِمْ ﴾ نرى أنَّ كلمة ﴿ نِّسَآءِ ﴾ تشمل جميع النساء ، ويأتي المضاف إليه ﴿ هِمْ ﴾ مخصِّصاً بمعنى : يملكون معاشرتهن ، حيث علمنا ذلك من السياق المحيط بهذه الكلمة : ﴿ نِّسَآئِهِمْ ﴾ ، والذي يبيّن لنا أنَّ تلك النساء اللاتي تمَّ تخصيصهنَّ بهذه الإضافة ، هنَّ موضع فعل الإيلاء المحمول بالنصِّ ، أي هنَّ الأزواج اللاتي يتعلَّقن بعقد نكاح مع المخاطبين بالنصِّ ، وذلك كتخصيص لهنَّ من جملة نساء المخاطَب ..

.. ما نعنيه .. أنَّ إضافة كلمة ﴿ نِسَآءِ ﴾ ، تعني تخصيصاً لنساءٍ محدَّدات من جملة النساء ، وأنَّ السياق المحيط يبيّن لنا ماهيّة هذا التخصيص ، كونه موضع أحكام الحالة المحمولة بالنصِّ ..

.. سياق النصِّ المحيط بكلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ في الآية [النور : ٣١] ، هو أمرٌ إلهيٌّ للنساء المؤمنات ، بعدم إبداء زينتهنّ إلاَّ أمام مجموعة من الرجال يتمُّ ذكرهم في هذا السياق ، فالسياق هو ذكر لأولئك الرجال ..

... والأمر الإلهي : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِ ﴾ ، مستمرٌّ في سرد أسماء أولئك الرجال حتَّى هذه الكلمة : ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ، وهو سردٌ لرجالٍ يتعلَّقون بالمرأة برابطة زواج : ﴿ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ ، أو رابطة حرمة دم أو نسب أو رضاعة : ﴿ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ .. بمعنى : ولا يبدين زينتهنَّ إلاَّ لرجال يتعلَّقن معهم برابطة خاصّة ، تبيح لهنّ إبداء الزينة أمامهم ..

.. وتأتي الكلمة ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ في ذات السياق ((سرد الرجال الذين يباح للمرأة إبداء زينتها أمامهم)) ، لتتعلَّق الإضافة المخصِّصة بذات الأحكام التي يحملها السياق النصِّي .. بمعنى : ولا يبدين زينتهنَّ إلاَّ لرجالٍ يتعلَّقن معهم برابطة نسب (بالزواج من نساءٍ

تخصُّهن) تحرِّمهم عليهن .. أي : كونهم محرَّمين عليهن بسبب تلك النساء اللاتي تمَّ تخصيصهن .. أي : ولا يبدين زينتهنَّ إلاَّ لأزواج نسائهن ، اللاتي بسببهن حصلت تلك الحرمة مع أولئك الرجال ..

.. فكلمة ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ تشمل تلك النساء اللاتي تمَّ تخصيصهن ، كونهنَّ سبباً في استثناء رجالٍ تستطيع المرأة إبداء زينتها أمامهم ، كونهم محرَّمين على المرأة بسبب أنّهم أزواج لتلك النساء اللاتي تمَّ تخصيصهن ..

.. فأزواج البنات تتعلَّق الحرمة بهم كونهم أزواجاً لنساء هنَّ بنات المخاطبات .. وأزواج الأمّهات تتعلَّق الحرمة بهم كونهم أزواجاً لنساء هنَّ أمّهات المخاطبات .. وأزواج بنت الابن وبنت البنت تتعلَّق الحرمة بهم كونهم أزواجاً لنساء هنَّ حفيدات المخاطبات .. وأزواج الأخوات تتعلَّق الحرمة المؤقتة بهم كونهم أزواجاً لنساء هنَّ أخوات المخاطبات .. وأزواج بنات الأخ (وكذلك بنات الأخت) ، وما نزل ، تتعلَّق الحرمة المؤقتة بهم كونهم أزواجاً لنساء تخصّها ، ولا يجوز جمعها معهن ..

.. فهذه الكلمة ﴿ نِسَآئِهِنَّ ﴾ غطَّت زوج البنت ، كون بنت المرأة زوجته ، وغطَّت زوج الأمِّ ، كون أمِّ المرأة زوجته ، وغطَّت زوج بنت الابن ، كون حفيدة المرأة زوجته ، وغطَّت زوج بنت البنت ، كون حفيدة المرأة زوجته ، وغطَّت زوج الأخت ، كون أخت المرأة زوجته .. وغطّت أيضاً زوج بنت الأخت (وزوج بنت الأخ) وما نزل ، كونهنّ لا يجوز جمعها معهن ..

.. صحيحٌ أنَّ عبارةُ مُلكِ اليمين تعني الذين نملكُ العلمَ فيهم والطمأنينة ، من أنّهم كشهوةٍ وغريزةٍ وميلٍ للنساء ، لا يختلفون عن الأطفال الذين لم يظهروا على عوراتِ النساء ، ولا عن التابعين غيرِ أولي الإرْبَةِ من النساء .. وأنَّ التابعين غير أولي الإربة من الرجال لا ميول لهم للنساء كشهوة ، حسب تقديرنا البشري .. لكن .. يبقى تقديرنا لحال هؤلاء ضمن إطار التقدير البشري ، ويبقى هؤلاء ضمن دائرة المحلَّلين للمرأة ..

إضافة إلى أنَّ عبارة : ﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ﴾ أن تعني أيضاً : ما وقع تحت إشرافهن وتربيتهنّ ومسؤوليتهن ، كون إبداء الزينة – كما رأينا – لا يعني التبرّج وإظهار مفاتن المرأة المثيرة للشهوة ..

.. ساحة التحريم في كتاب الله تعالى متضمَّنة في ساحة إبداء الزينة ، ما عدا تحريم الإحصان : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾ ، فكلُّ المتزوِّجات على وجه الأرض محرّمات على الرجل (ما عدا زوجاته) ..

.. وهكذا نرى أنَّ العبارة : ﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ ، تغطِّي – في مسألة إبداء الزينة – زوج بنت المرأة ، وزوج بنت بنتها ، وزوج بنت ابنها ، وزوج أمِّها ، وزوج أختها ، وزوج بنت أختها ، وزوج بنت أخيها ..... ، فكلُّ ذلك محمول في هذه العبارة القرآنيّة ، وفق موقعها في سياقها القرآني المحيط بها ..